الى غير هذا مما لا نرى حاجة الآن لنقله ما دامت الحاجة لم تدع اليه فليعرف هذا شاعرنا ولا يضق صدره حرجاً من النقد، ولقد عجبنا منه ينال من الشباب المثقف ويرميه بالجهل، وفضله لا ينكر في حركة الادب والانتاج، ثم توجه الينا يقول: يظهر أن الناقد ممن لم يأخذوا العلم عن الشيوخ فهو يلتقط ما يجده في الكتب والصحائف الخ ونحن لا نريد ان نذكر له ترجمة انسان متواضع يعرض عن الشهرة ويأبى أن يكون من عشاق الالقاب والامضاءات تحت كل سطر يكتبه، ولعل كلام شاعرنا اشد انطباقاً عليه فمن منا يلتجئ للكتب وينبري للدواوين يستعين بها ويسلخها سلخاً، ورده عند القارئ اكبر شاهد، أما الصحائف ففضلها على شاعرنا كبير، وجريدة «السعادة» بالباب، فهي التي اظهرته للوجود وسنعود لشعره بحول الله في فرصة اخرى وننقد رثاءه لشوقي ونكشف الغطاء عن بقية الابيات التي دلنا عليها في تاريخ مكناس مع شدة احترامنا للمؤرخ الشهير النقيب الزياني، وحينذاك يرحمه الله برحمته.

اما ابن تاشفين فبودي أن لا اوله بوخز، وهو ما يزال تلميذاً يأخذ العلم، وعجيب امر هذا الناشىء الصغير يأبى في أول مقاله ان يعترف بهرم شعر القباج فلم يلبث الا قليلا حتى هدم كل ما بناه، وأورد لنا شهادة الشاعر على نفسه واعترافه امام جمع من ادباء مراكش ان شعره اليوم غيره بالامس الخ وهذه لطمة تناولها بيده، وادرك بها القراء كيف يكون التناقض الذي ينسبه الينا لو كان يفقه ويدري، أما شعر ذي الاصبع العدواني فان استدلاله عليه لا له، واذا تأملناه نجده شعر وصية من ادركه الهرم واشرف على القبر، يوصي اولاده ويودع الحياة بما جمعت من آمال واحلام وقوة النشاط والتهاب القريحة لا يكون طبعاً الا في طور الشباب فهل يريد ان ينازع في هذا ايضاً، وهذه نظرية لم ناخذها من شعر الاخطل الصغير بشارة الخوري بل معروفة بالبداهة، والشعر القديم والحديث يزخر بالبكاء على الشباب والتحسر على انقضاء عهده وذبول زهره الباسم فاقرأ يا (ابن تاشفين) هاته الابيات من قصيدة أبي الطيب لعلها تهذب من تفكيرك وتزيد في معلوماتك يقول:

واذا الشيخ قال اف فما مـــــل حياة وانما الضعف ملا
آلة العيش صحة وشباب ☆ فاذا وليا عن المرء ولى

ونمسك الآن عن الاطالة في هذا الباب وندعو الله للكاتب بالفتح انه هو الفتاح العليم ولقد حان التخلص للشباب، فلنبدأ بشاعره على بركة الله.

«يتبع» (ابن عباد)

☆ حول رد «ابن تاشفين»

قرأنا في العدد الأخير من «مجلة المغرب» الغراء مقالا لأديب مراكشي رمز لاسمه بـ(ابن تاشفين) وهو برد على (ابن عباد) ويستنكر الخطة التي يتبعها في نقد شعرائنا، وقد بدت لنا ملاحظات على هذا المقال، رأينا ان نعرضها على قراء «مجلة المغرب» المحبوبة، أبتدأ الكاتب بايراد هذين البيتين:

ما الشعر الا شعوري جئت اعرضه
فانقده نقداً شريفاً غير ذي دخل

وأحسن النقد ما يرضى الجميع به
وأسوأ النقد ما يفضي الى الجدل

ونحن بكل تواضع، تفهم الاديب المراكشي، اننا لا نوافق الشاعر على ما يذهب اليه في البيت الثاني من ان اسوأ النقد ما يفضي الى الجدل، اذ كيف يمكن ان تتزى ملكاتنا وتنضج افكارنا وتسمو مداركنا اذا لم يجادل بعضنا البعض بالتي هي أحسن واذا لم يشحذ ذهننا باحتكاكه مع ما يخالف نظرنا ورأينا، والعجيب ان الكاتب يورد هذين البيتين وكأنهما حجة دامغة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ويجب على كل من يسمعها ان يؤمن بصدق ادعائها ولو أن الكاتب لم يكتف بهذين البيتين بل أبان لنا عن مضار الجدل متبعاً القول الحجة لكان احسن صنعا، ولكنه يسترسل في كتابته وبعد مقدمة ـ لا أدري كيف أصفها ـ يشرح فيها معنى النقد، يأتي الى بيت القصيد فيتهم (ابن عباد) بتناقض أقواله وبانه لا يصرّح بشيء الا ناقضه بعد سطور ويريد ان يبرهن على ذلك فيقول: «يقول (أي ابن عباد) تحت عنوان (شاعرنا المطبوع): اذ هو كما يقولون شاعر المغرب وبلبله الصداح، والشاعر المطبوع الذي لا يوجد له قرين في النظم والارتجال، تلك هي الالقاب التي يتمتع بها شاعرنا اليوم وقبل اليوم.» ويقول فيما بعد: «وفي الحق ان الشاعر القباج له آيات في الشعر سابقة» فهل هذا الا ما يسمى في نظر كل عقل سليم بالتناقض؟»

ونحن نتبرع عليه بالاجابة فنقول: ليس هذا من التناقض في شيء ايها الكاتب، فابن عباد ينتقد في الفقرة الاولى اعطاء الشاعر

هذه الالقاب جزافاً ولكن هذا لا يمنعه من الاعتراف بان للقباج آيات في الشعر سابقة غير أن هذه الآيات لا تجعل من شاعرنا بلبل المغرب الصداح ولا الرجل الذي لا يوجد له قرين في الشعر والارتجال، فابن عباد يستنكر ـ وله الحق في ذلك ـ هذه المبالغات التي صارت في هذه الايام يوصف بها كل من هب ودب والتي تجعل من كل من نظم أبياتاً ـ ولو اختل ميزانها وسخفت معانيها ـ شاعر لا يبارى وأديباً لا يجارى وهذا لعمري مما لا يطاق.

ولو انصف (ابن تاشفين) لأقر انه لم يكن على حق حين نعت اقوال (ابن عباد) بالتناقض ولما اضاع وقته الثمين في البحث عن الدلائل الواهية التي يريد ان يؤثر بها على قرائه ويثبت بها ان ان (ابن عباد) مخطئ كل الخطا في اقواله، فانه لما رأى ان حجته الاولى بادية التلاشي لا تجدي فتيلا أراد ان يعززها بثانية ولكنها كما سترى سوف لا تصلح الا لدحض اقواله ورد مفترياته، فهو يريد أن يستدل على فساد النظرية التي تقول: « ان الشعر يقوى ويضعف على حسب حياة الانسان وأطواره » أتدري أيها القارئ لما ذا هو يحمل على هذه النظرية ؟ لا لشيء الا ان (ابن عباد) هو قائلها !! ولهذا فهو يفسرها على مقتضى هواه ويفهمها على الوجه الذي ارتآه فليس مراد ابن عباد حين يقول: « فكذلك الشعر عندي تابع لحياة الانسان واطواره، يصدر ضعيفاً ثم يقوى ثم يعود الى ضعفه الاول فيظهر فيه اثر السخف والركاكة وضعف التعبير » ليس مراده حين يقول ذلك ان الشاب الممتلئ صحة هو الذي يكون شعره قوياً متيناً وان الشيخ الفاني الجسم يحسن به أن يطلق الشعر من غير رجعة، كلا ثم كلا، فالضعف هنا ضعف النفس والروح لا ضعف الجسد والقوة قوة الخيال والفكر لا القوة الجسمانية ! فكم من معمر أكلت جثته السنون والاعوام أقوى نفساً وأنقى ذهناً وأخصب خيالا من شاب في ربيع حياته وعنفوان شبابه وهذا لا يتعاكس مع النظرية في شيء فالشعر يصدر ضعيفاً اذ تكون نفس قائله ضعيفة ثم عملا بسنة التطور تتقوى النفس وتبعاً لها يكون الشعر قويا، ثم تمضي النفس في طريق رقيها وتصعد في درجات عليائها والشعر يسمو بسموها حتى اذا ما بلغت غايتها ووصلت الى مأربها أخذت تتقهقر وتتأخر الى ان ترجع الى ما كانت عليه أولا فيظهر في الشعر اثر السخف والركاكة وضعف التعبير، وقد يدرك الانسان الهرم ونفسه لا تزال في أوج مجدها فلا يمنعه ضعف اعضائه من ان يقول شعراً لا يقدر الشبان على الاتيان بمثله ومن هذا يتبين لنا أن ابن تاشفين لم يكن في حاجة الى الاستشهاد بحالة «ذي الاصبع العدواني» أو أمير الشعراء «شوقي» وما كان عليه الا أن يجيد التأمل في النظرية ويتفهم مكنونها على حقيقته، أما هل هذه النظرية من عندية ابن عباد أم هي حل لبيتين من الشعر الشرقي فليس ذلك بمهم اذ انما تهمنا النظرية نفسها لا قائلها.

وأما محاولة (ابن تاشفين) اثبات تناقض هذه النظرية مع نصيحة (ابن عباد) للشاعر القباج حيث يقول: « ولو أن شاعرنا صرف جانباً من وقته في المطالعة والاستفادة وتتبع النهضة الشرقية..... لا تنفع به المغرب وأمكن أن يفتخر به » فلا يحتاج الى كثير عناء لتبيان خطئها، فـ(ابن عباد) ينصح الشاعر بتتبع النهضة الشرقية اذ يعلم ان نفسه ـ لا جسمه وما لنا وللجسم ـ لم ييأس منها ولا زالت قابلة للتطور، فاذا اوقدت نارها الخامدة بتيارات الافكار الحديثة واذا أطلق لها العنان في عالم خيال مملوء بأجمل الازهار والرياحين ونسيمه يهب حاملا لاعذب الانغام والالحان ولا يقع النظر فيه الا على كل ما ينعش القلب ويشرح الصدر ويحيي الامل وينهض بالهمم فان نفس شاعرنا ـ ان كانت لا زلت شديدة الاحساس وأظنها كذلك ـ ستتأثر بهذا المحيط الساحر فتستلهم من مناظره الخلابة والحانه الشجية أفكاراً عالية وتهديها لنا في أشعار رائعة على اسلوب ملائكي أخاذ، وحين ذلك سوف لا يطرق اسماعنا أمثال هذه القصائد المملة التي يطلع بها علينا الشاعر القباج في كل مناسبة وبدون مناسبة فلعله ياتينا بشيء جديد ويهجر تلك المصطلحات العتيقة من المعاني المبتذلة والالفاظ الجوفاء التي لاكتها الالسن ومجتها الاذواق والتي يحفظها عن ظهر قلب كل النظامين الذين يسيئون الى الشعر اشد الاساءة اذ يجعلون منه حرفة وضيعة يتوصل بها الى الاغراض ويتوسل بها عند الملمات فهم اذا حضروا في مجلس ـ أو دعوا الى مجمع ـ بدلا من أن يعطونا فكرة عن المناقشات التي دارت فيه والمباحث التي القيت على بساطه يتفننون في وصف اطعمته فما ألذ « طواجين » فلان !! وما أحسن « بساتيل » الآخر !!!

ويشاء سوء الحظ أن تعثر جريدة شرقية على قصيدة مغربية في وصف احدى الولائم قد بالغ صاحبها ـ صاحب القصيدة ـ في في ذكر انواع المآكل وتعدادها، مما جعل صاحب الجريدة يقف

مبهوتاً أمام هذا الشره الحيواني والعقلية البهيمية ولا يجد وصفاً ينطبق تمام الانطباق على المغاربة الا أنهم . . . أكولون ! !

فانظر أيها الاديب المراكشي الى ما أوصلنا اليه تقاعس شعرائنا عن تتبع النهضة المباركة التي عمت جميع الاقطار العربية والتي يريد بعض الجامدين أن يحرموا مغربنا العزيز من اقتطاف ثمارها .

يا ابن عباد ان لذعاتك سيكون لها صدى في كل أنحاء المغرب وستكون ـ باذن الله ـ كالحفنة المقوية تجري الدم ثائراً في عروق ادبائنا فينفضون عنهم غبار الكسل ويغادرون حياة الخمول ، فياتون بكل جديد ومبتكر ويبرهنون على ان المغربي لا زال ـ كما اشتهر عنه في التاريخ ـ ذكياً عبقرياً ، فلتسر في طريقك أيها الأخ ، ولا يحجزك عن الاسترسال هذه الأشواك التي تجدها امامك ، دعها بقدمك وتوجه الى غايتك وأتحفنا بمقالك الذي ننتظره بفارغ الصبر .

محمد ملين

— للحقيقة والتاريخ —

جاء في مجلة المغرب عدد رمضان تحت عنوان « نشأة الادب العربي في المغرب » نسبة هذين البيتين : أليس أبونا هاشم الخ الى المولى ادريس رضي الله عنه ، فرأينا أن نصحح هذا الغلط الذي سبق الكاتب اليه جهرة من مؤرخي المغرب فنسبها اليه صراحة أبو العباس ابن القاضي في جذوة الاقتباس وزاد بيتاً ثالثاً وهو :

ولكننا أهل الحقائق والنهى
اذا طار أرواح الكماة من الرعب

وكذا نسبها له العلامة ابن زكري في شرح همزيته وهو الذي يفهم من سياق الانيس المطرب والاستقصاء وغيرهما .

والصواب أن الابيات المذكورة هي لابي طالب عمّ النبي صلى الله عليه وسلم في قصيدة رد بها على كفار قريش في قضية الصحيفة كما أوردها الامام الكلاعي في الاكتفاء أثناء كلامه على الصحيفة منسوبة له .

ومنشأ هذا الغلط فيما نرى هو ما فهموا من حكاية داود بن القاسم بن عبد الله بن جعفر الأوْرَبي قال : شهدت مع ادريس بن ادريس بعض غزواته للخوارج الصفرية . . . فأعجبني منه ثباته ورباطة جأشه . . . فجعلت أديم النظر اليه ثم سألته في ذلك . . . فأنشأ يقول : أليس أبونا هاشم الخ ففهموا منه أن الشعر له وهو انما أنشده متمثلاً بقول ابي طالب .

ومما ثبت من الشعر للمولى ادريس رضي الله عنه يخاطب بهلولا ابن عبد الواحد من خاصة رؤساء الدولة وقد مال عنه الى ابراهيم ابن الاغلب حاكم تونس :

أبهلول قد شممت نفسك خطة
تبدلت منها ضلة برشاد
أضلك ابراهيم من بعد داره
فأصبحت منقادا بغير قياد
كانك لم تسمع بمكر ابن أغلب
غدا ءاخذاً بالسيف كل بلاد
ومن دون مامنتك نفسك خاليا
ومناك ابراهيم شوك قتاد

وقد نسبت له أبيات اخرى لم نتثبت من صحتها بعد .

الباحث

نشأة الادب العربي بالمغرب

عهد الدولتين المغراوية واليفرنية

(٢)

ابنا في مقال سابق أن الدولة الادريسية لم تكن تعرف الادب ولم تكن خلافتها بمرتكزة على قوة أدبية علمية وزد على ذلك أن دولتها كانت من نفسها تشعر بعاطفة شديدة قلبية للبربر وتجعل نفسها متمدحة بخصالهم لانهم نصروها وآووها بعد ما طردها الشرق وكانت تحب المغرب حباً كثيراً لانه قبلها بعد ما نفر منها الشرق وصاحب شجرة الاشراف ياتي بحديث عن فاطمة ويزعم أنه صحيح مضمنه : أن أولاد فاطمة وأحفادها سيقتلون ويشردون وسياويهم قبائل في المغرب يقال لهم البربر فطوبى لمن والاهم وأعزهم وويل لمن . . .

ويلزم من هذا أن ترتكز في عقلية ابناءها العاطفة البربرية الجافة (عاطفة الاستيلاء) ويصبحوا كلهم يعتقدون أنهم هم الملوك الذين ارسلوا لحكم المغرب فرغم وجود هذا الحديث الذي سقنا اليك مضمنه ورغم كون البربر أحبوا أبناء الرسول فعلوا بهم ما فعلوا